فصلية الخطاب الاستراتيجي ٢
السنة الأولى – العدد الثانى – خريف ٢٠٢٤م
صفحات ١٥٣ – ١٧٣

الجمهورية الإسلامية الإيرانية وشل العراق استراتيجياً في الحرب المفروضة

محمود عسكرى[١]

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/٠٣ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٤/٠٤

الملخص

تُعدّ الحروب مسرحاً لتصادم الأفكار والقرارات وتلاقيها؛ وعليه فإن الهزائم والانتصارات تتشكل في أذهان القادة والزعماء قبل أن تتجلى في ساحات القتال، حيث تتبلور محصلة الأفكار والقرارات في قالب الاستراتيجيات. يُظهر استقراء تاريخ الحروب العسكرية، أن هذه المواجهات قد حكمتها ثلاثة منطقيات استراتيجية: "الإبادة"، و"الاستنزاف"، و"السيطرة".

يُعدّ إحداث الشلل الاستراتيجي فكراً ونهجاً مُصمماً لتحقيق منطق السيطرة. إن الهدف الرئيسي للشلل الاستراتيجي، هو تفكيك تنظيم القوات العملياتية، وتشتيت مستويات القيادة والقوات، وتقويض إرادة العدو وقدرته على المقاومة والقتال؛ وبالتالي ينصب التركيز الأساسي على منظومة القيادة.

يُعرَّف إحداث الشلل الاستراتيجي بأنه استغلال نقاط الضعف ومواطن الهشاشة لدى الخصم، بهدف تحييد نقاط قوته وتوجيه الضربات إليها. يسعى هذا المقال للإجابة على السؤال الرئيسي: ما هو إحداث الشلل الاستراتيجي؟ وهل يمكن العثور على أمثلة تطبيقية له في سياق الحرب المفروضة؟

الكلمات المفتاحية: شلل، استراتيجي، العراق، حرب.

[١]. عضو هيئة التدريس وأستاذ في جامعة العليا الدفاع الوطني. Asgari_Researcher@yahoo.com

مقدمة

هل تقتصر الحروب على كونها ساحةً للعنف وممارساته فحسب؟ وهل ميادين القتال ليست سوى مسرح لصدام العتاد العسكري؟ إن حقيقة الأمر تكمن في أن هذه المظاهر، ما هي إلا القشرة الخارجية والسطحية للحروب؛ فالواقع يؤكد أن الحروب هي ساحة لتصادم الأفكار والقرارات وتلاقيها. وعليه، فإن الهزائم والانتصارات تتشكل في أذهان القادة والزعماء قبل أن تتجلى في ساحات القتال، إذ تتبلور محصلة الأفكار والقرارات في إطار الاستراتيجيات.

إن الوظيفة الأساسية والجوهرية للاستراتيجيات، هي تحقيق النصر بأقل التكاليف البشرية والمادية. ومن هذا المنطلق، يُعدّ تصميم مثل هذه الاستراتيجيات الشغل الشاغل للمنظّرين الاستراتيجيين. وفي هذا السياق، يبرز إحداث الشلل الاستراتيجي كأحد الخيارات المتاحة. ويُعدّ إحداث الشلل الاستراتيجي، الذي يعني استغلال نقاط الضعف ومواطن الهشاشة لدى الخصم بهدف تحييد نقاط قوته وتوجيه الضربات إليها، من المبادئ الموجِّهة للقادة العسكريين.

تسعى هذه المقالة للإجابة على السؤال الرئيسي: ما هو إحداث الشلل الاستراتيجي؟ وهل يمكن العثور على أمثلة تطبيقية له في سياق الحرب المفروضة؟ وبعبارة أخرى، هل تم تبني استراتيجية إحداث الشلل الاستراتيجي من قِبل قادة بلادنا خلال فترة الدفاع المقدس؟

المعنى والتعريفات ونظريات إحداث الشلل الاستراتيجي

المعنى

تنحدر كلمة "paralysis" من الكلمة اليونانية παράλυσις بمعنى "تعطيل الأعصاب"، وهي مشتقة من (para παρά) بمعنى "من جانب، بواسطة" و (lysis λύσις) بمعنى "إرخاء/إضعاف/تعطيل". يُعرَّف الشلل بأنه "اضطراب في الأداء الطبيعي للجهاز العصبي في توجيه بعض أعضاء الجسم أو جميعها"، أما المعنى المجازي "فقدان الطاقة، فقدان القدرة على أداء الوظائف المنتظمة"، فيعود إلى عام ١٨١٣. (https://www.etymonline.com/word/paralysis)

إن مفهوم إحداث الشلل الاستراتيجي ليس جديداً، بل تمتد جذوره الفكرية إلى القرون الماضية. كان سان تزو، المفكر الصيني العظيم، أول من أرسى الأساس النظري للحرب، والذي تشكلت على أساسه الاستراتيجيات اللاحقة. قال: "من الأفضل الحفاظ على أمة سليمة بدلاً من تدميرها، ومن الأفضل الحفاظ على جيش سليم بدلاً من إبادته، لذا فإن أولئك الذين يُعجزون جيوش الآخرين دون قتال، هم الأفضل على الإطلاق".(Tzu, 1988: 66-72)

وعلى الرغم من أن النظرية الشاملة للشلل الاستراتيجي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى (بعد عام ١٩١٨)، حيث أدت المجازر في تلك الحرب إلى النفور والبحث عن بديل لاستراتيجية الإبادة، مما أسفر عن نظريات الشلل، إلا أن "عملية عاصفة الصحراء" كانت أول استخدام رسمي للشلل الاستراتيجي من قبل الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها. (Hallion, 1992).

عملية "عاصفة الصحراء" كانت حملةً عسكريةً بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، مدعومةً بتحالف مكون من ٣٥ دولة، ضد العراق بقيادة نظام البعث، وذلك رداً على احتلال العراق للكويت. في ١١ أغسطس ١٩٩٠، قام صدام حسين بغزو الكويت، حيث احتل أراضيها في غضون ١٣ ساعة فقط، مما أدى إلى نشوب أزمات دولية خطيرة. وفي رد فعل على هذا العدوان، قرر مجلس الأمن الدولي أنه إذا لم يسحب صدام قواته من الكويت وفقاً للجدول الزمني المحدد، فسيمنح الضوء الأخضر لاستخدام القوة ضد العراق. لكن صدام لم يقبل مهلة مجلس الأمن.

وفي إطار تأييد مجلس الأمن، شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها في ٢٦ يناير ١٩٩١ هجمات جوية مكثفة ضد العراق. كانت الاستجابة العسكرية لقوات التحالف تجاه غزو صدام تعتمد على القوة الجوية، التي كانت الأداة الرئيسية لتطبيق استراتيجية "الشل الاستراتيجي". ووفقًا لبعض الآراء، تعتبر "عاصفة الصحراء" حتى ذلك الوقت، أقرب مثال على تطبيق استراتيجية الشل الاستراتيجي عبر استخدام القوة الجوية. (Barlow, 1992: 24)

وقد نفذت هذه القوات عملية قصف جوي واسعة النطاق من ١٧ يناير ١٩٩١ حتى ٢٣ فبراير ١٩٩١. خلال هذه المعركة، قامت قوات التحالف في حرب الخليج بإجراء أكثر من ١٠٠٬٠٠٠ طلعة جوية، حيث تم إلقاء نحو ٨٨٬٥٠٠ طن من القنابل، مما أدى إلى دمار واسع النطاق في البنية التحتية العسكرية والمدنية للعراق. من حيث الكمية والفاعلية، كانت القوة الجوية للتحالف متفوقةً على نظيرتها العراقية. كان هذا الأمر واضحاً خصوصًا في المعايير الخاصة التي كانت القوات العراقية تفتقر إليها بالكامل، مثل إعادة تزويد الطائرات بالوقود في الجو، القيادة والسيطرة الجوية، الحرب الإلكترونية، الذخائر الدقيقة، وطائرات الشبح. وقد تم توفير مثل هذه القدرات بشكل أساسي (إن لم تكن حصرياً) من قبل الولايات المتحدة.

في الفضاء الخارجي، تم نشر ستة عشر قمراً صناعياً عسكرياً للاتصالات (أربعة عشر منها تابعة للولايات المتحدة)، مُعزَّزةً بخمسة أقمار صناعية تجارية، لتوفير الغالبية العظمى من الاتصالات في ميدان العمليات. أدت الغارات الجوية للتحالف إلى تدمير البنية التحتية المدنية العراقية بشكل كارثي. فقد تم تدمير إحدى عشرة محطة من أصل

عشرين محطة رئيسية لتوليد الكهرباء، إضافةً إلى ١١٩ محطة فرعية للكهرباء بشكل كامل، كما تعرضت ست محطات رئيسية أخرى لأضرار بالغة. وبنهاية المعركة، انخفض إنتاج الكهرباء في العراق إلى أربعة بالمئة فقط من مستويات ما قبل الحرب.

دمرت القنابل منشآت جميع السدود الرئيسية ومعظم محطات الضخ الكبرى، كما طال الدمار العديد من محطات معالجة مياه الصرف الصحي، ومعدات الاتصالات، والمرافق الميناء، ومصافي النفط، ومنشآت توزيع النفط، والسكك الحديدية، والجسور. أسفرت الحملة الجوية عن تدمير جميع الألوية العراقية المنتشرة في الصحراء المفتوحة، كما منعت إعادة الإمداد الفعال للوحدات العراقية المشاركة في القتال، وحالت دون انضمام ٤٥٠،٠٠٠ جندي عراقي لتعزيز وتركيز القوات العراقية بشكل أكبر. كان لهذه العمليات الجوية تأثير ملحوظ على التكتيكات المستخدمة في المواجهات اللاحقة. وجدت الفرق العراقية بأكملها نفسها محاصرةً في العراء من قبل قوات التحالف.(Barlow, 1992: 4) هذه الحملة الجوية، التي أدت إلى شل القوات العسكرية العراقية بشكل واضح، مهدت الطريق للنصر الحاسم لقوات التحالف.

التعريفات

يُظهر استعراض تاريخ الحروب العسكرية منذ الحرب العالمية الأولى، أن هذه الصراعات كانت محكومةً بثلاثة منطقيات استراتيجية: "الإبادة"، و"الاستنزاف"، و"السيطرة". يتمحور المنطق الرئيسي للإبادة حول تدمير العدو، بينما يهدف منطق الاستنزاف إلى إنهاكه. أما منطق السيطرة، فيسعى إلى التحكم في الأنظمة الحيوية للعدو، مثل القيادة، وبشكل عام، مجمل الموارد تحت تصرفه. إن إحداث الشلل الاستراتيجي هو فكر وفلسفة صُممت لتحقيق منطق السيطرة. يفترض منطق السيطرة في الحرب أن تجمع القوات غير الفعالة لا يختلف عن القوات المدمرة. لذا، من الأفضل تحييد القوات بدلاً من تدميرها. ويتحقق هذا التحييد من خلال السيطرة على قوات العدو.

وفقاً لما سبق، تسعى الخطط العملياتية لتحقيق هذا الهدف إلى تنظيم البيئة بطريقة تمنع العدو من الاستفادة من موارده. بعبارة أخرى، الهدف من أسلوب الحرب القائم على منطق السيطرة، هو تحييد قدرات القوات الفعالة للعدو لتعريف قوته ضمن إطار المصالح والرغبات الذاتية.

عرّف البعض إحداث الشلل الاستراتيجي على النحو التالي:

"إحداث الشلل الاستراتيجي هو هجوم انتقائي ضد أهداف وطنية أو استراتيجية، تدعم بشكل مباشر إرادة

الخصم وجهوده العسكرية لمواصلة سلوكه".(Barlow, 1992: 4)

في إطار التخطيط العملياتي للتحالف الذي تشكّل بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق خلال احتلال الكويت عام ١٩٩٠، تنبأ بعض المحللين، ومن بينهم جون واردن[1]، بأن العمليات ستبدأ بقصف مكثف سيؤدي سريعاً إلى سقوط صدام. في هذا السياق، أعلن واردن أن الحرب ستبدأ بهجوم جوي واسع النطاق وشديد، وستستمر لمدة تتراوح بين ٢٤ و٤٨ ساعة، وسيكون هدفها إحداث شلل استراتيجي في العراق.

وفقاً لتقدير واردن، يتحقق إحداث الشلل الاستراتيجي عندما تُنفَّذ ضربات وهجمات متنوعة في إطار زمني مضغوط، مما يؤدي إلى تشتيت تركيز العدو وإرهاق العقل الاستراتيجي لصناع القرار لديه. واستناداً إلى ما سبق، فإن تدمير وإزالة المعدات والإمكانيات المادية للعدو ليست سوى جزء من الجهد المطلوب في هذا النموذج. وبعبارة أدق، للسيطرة على قوات وقدرات العدو، يجب كبح قدراته الفكرية والتقريرية. إن النجاح في تحقيق هذه القدرة سيُغني البلاد عن تدمير القوات والمعدات.

النظريات

على الرغم من أن إحداث الشلل الاستراتيجي مفهوم حديث ينتمي إلى العصر المعاصر، إلا أنه يمكن تتبع جذوره في استراتيجيات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن الأمثلة البارزة التي يمكن ربطها بإحداث الشلل الاستراتيجي فتح مكة، حيث استطاع الرسول الأكرم من خلال توظيف الحرب النفسية، أن يُلحق الهزيمة بالعدو عبر بث الرعب في قلوبهم وشل قدراتهم العسكرية.

لفتح مكة وتحطيم أقوى معاقل الوثنية والقضاء على حكم قريش الظالم (الذي كان أكبر عائق أمام انتشار التوحيد)، أعلن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التعبئة العامة وتوجه مع عشرة آلاف من جنود المسلمين إلى منطقة "مر الظهران" (على بعد كيلومترات قليلة من مكة). ولإثارة الرعب والخوف في قلوب أهل مكة، أمر الجنود بإشعال النيران في المرتفعات، وأن يوقد كل جندي ناراً مستقلةً، حتى أحاط شريط من النيران بجميع الجبال والمرتفعات المحيطة.

فوجئ أهل مكة باكتشاف أنهم محاصرون تماماً، وأن النيران تحيط بمدينتهم كالدائرة. في هذه الظروف، خرج بعض زعماء قريش مثل أبي سفيان وحكيم بن حزام من مكة للاستطلاع. وبأمر من النبي، اصطحب العباس بن عبد المطلب أبا سفيان إلى مدخل الوادي، حيث شاهدوا الجيش الإسلامي الضخم، مما أدى إلى تزعزع إرادتهم وتلاشي أي

[1] . John Warden

فكرة للمقاومة، وبالتالي تم فتح مكة دون قتال.

في الفكر العسكري واستراتيجيات نابليون، يمكن أيضاً تتبع مفهوم إحداث الشلل الاستراتيجي بشكل مختلف. من خلال العبارات التالية، يمكننا استنتاج فهمه للشلل الاستراتيجي إلى حد ما. فقد اعتقد أن ساحة المعركة هي مسرح للفوضى الدائمة، وأن المنتصر هو من يسيطر على تلك الفوضى(Carr, 2009). كما أكد على أهمية مهاجمة استراتيجية العدو في الحرب، معتقداً أنه يمكن تحطيم معنويات العدو بالاعتماد على الخداع والمعارك الحاسمة. وشدد نابليون بشكل كبير على أهمية الحركة السريعة وامتلاك زمام المبادرة. (كريمي، جليليان، ٢٠٢٢: ١٣٢)

قدم كلاوزفيتز، المنظّر الاستراتيجي الألماني، تعريفين للحرب: "الحرب المطلقة" بمعنى التدمير الكامل للعدو، و"الحرب الواقعية" التي تعني وضع العدو في ظروف لا يستطيع معها مواصلة القتال. وبهذا، فإن الحرب الواقعية تدعم بشكل غير مباشر فكرة شل القوات المسلحة للعدو. (Clausewitz, 1976)

يمكن اعتبار جي إف سي فولر، الاستراتيجي الإنجليزي، مصمم الخطة العملياتية الحديثة أو خطة الحرب التي تهدف إلى شل العدو. فقد أكد قائلاً: "إن القوة الجسدية للجيش تكمن في تنظيمه الذي يتحكم فيه دماغه. قم بشل هذا الدماغ ولن يعمل الجسد بعد ذلك". كما شدد على أن أقوى وأكثر الطرق فعاليةً من حيث التكلفة في الحرب، هي نزع السلاح من خلال الشلل بدلاً من التدمير عن طريق الإبادة. (Fuller, 1925)

كما أشرنا سابقاً، كان فولر وليدل هارت من الرواد في طرح نظرية إحداث الشلل الاستراتيجي الحديث في مجال الحرب البرية. ومع ذلك، لم تقتصر نظريات إحداث الشلل الاستراتيجي على القوات البرية فحسب، إذ قدمت القوات الجوية أيضاً نظريات في هذا المجال. وكان دوهيه وترينشارد وميتشل من أبرز هؤلاء المفكرين. وقد تجلى الإيمان الفكري بقدرة القوة الجوية على إحداث الشلل الاستراتيجي في شكلين عملياتيين: الحرب ضد القدرات العسكرية–الاقتصادية للعدو، والحرب ضد معنوياته.

اعتقد دوهيه أنه يمكن، من خلال استغلال القدرة الفريدة للقوة الجوية في توجيه ضربات مباشرة لقلب العدو والالتفاف حول قواته البرية، شل قدراته القتالية وإجباره على تغيير سلوكه. (Douhet, 1983)

أما ترينشارد، المنظّر البريطاني، فقد طرح فكرة الشلل من خلال مهاجمة المراكز الحيوية مثل البنى التحتية الداعمة للحرب، والإنتاج، والنقل، والاتصالات التي تديم جهود العدو الحربية. وركّز على التأثير النفسي والمعنوي لهذه الهجمات أكثر من التدمير أو التأثيرات المادية. وجادل بأن الغارات الجوية تثير الرعب في نفوس عمال الصناعات العسكرية

وتمنعهم من العمل، كما يمكن أن تجعل العمال يتركون تحميل الذخيرة في السفن الحربية خوفاً من الهجوم الجوي. وفضّل أن يستخدم الرعب النفسي الناتج عن الاضطراب والانهيار الاقتصادي، لإحداث الشلل الاستراتيجي.

شدّد ليدل هارت، المنظّر البريطاني الشهير، على أهمية شل العدو جواً لتحقيق النصر في الحروب بأقل تكلفة ممكنة. واعتقد أن نزع سلاح العدو أكثر إقناعاً واقتصاداً من محاولة تدميره في معارك ضارية. ودافع عن شل النظام بدلاً من تدميره. وجادل بأن "الرجل المقتول هو مجرد رجل واحد أقل، بينما الرجل المنهار أعصابياً هو ناقل للخوف شديد العدوى يمكنه نشر وباء الرعب. وهذا الخوف يمكن أن ينتقل إلى المستويات القيادية العليا، وحتى إلى عقل قائد العدو، مما يؤدي إلى تدمير القوة القتالية الكاملة لقواته".(Liddle Hart: 1991: 212)

جون واردن الأمريكي هو منظّر آخر للشلل الاستراتيجي عبر القوة الجوية. تعدّ نظريته طريقةً لتحقيق النصر في الحرب باستغلال القوة الجوية، وهي ذات طبيعة سياسية أكثر منها اقتصادية. الهدف الرئيسي لهذا النهج، هو استهداف قيادة العدو لتغيير السياسة المطلوبة. ركّز واردن على مهاجمة نقاط ضعف العدو والنقاط التي ستحدث الهجمات عليها أفضل تغيير، وبالتالي فإن إحداث الشلل الاستراتيجي لا يتحقق بمهاجمة أي هدف للعدو، بل بمهاجمة أهم العناصر. (Warden, Jan 1993) ويعتقد واردن أن إحداث الشلل الاستراتيجي يتحقق من خلال إحداث تغيير في عقول وتفكير قادة العدو. وهو يشبّه القوة العسكرية للعدو بنظام تتكون عناصره من "القيادة"، و"التنظيم"، و"البنية التحتية"، و"معنويات/إرادة الشعب"، و"القوات". ويرى أن العنصر الرئيسي في هذا النظام هو القيادة. ويعتقد أنه إذا كانت القيادة غير قابلة للوصول إليها، فيجب التركيز على تغيير ذهنية القيادة؛ لأن تدمير أو تعطيل القيادة سيؤدي إلى شلل مادي كامل لنظام العدو. (Warden, Jan 1993) ينظر واردن إلى هذه المسألة من منظور هيكلي، ويسعى إلى تحقيق الشلل المادي.

وقد أبدى مفكرون آخرون مثل فولر آراءهم حول هذا الموضوع. فهو يعتقد أن قوات العدو منظمة، وبالتالي يتم التحكم فيها بواسطة العقل، لذلك إذا أمكن السيطرة على هذا العقل، يمكن سلب قدرتها على الحركة. (Fuller, 1925: 314) وبشكل عام، يعتبر فولر أن مهاجمة العقل المتحكم، هو العامل المسبب للشلل الاستراتيجي.

بويد هو أحد المنظرين الآخرين الذين يعتقدون أن إحداث الشلل الاستراتيجي يتحقق من خلال كسر إرادة وروح القيادة، عن طريق خلق المفاجأة أو مواقف استراتيجية أو عملياتية خطيرة. (Fodok, 1995: 14) ينظر بويد إلى إحداث الشلل الاستراتيجي من منظور عملياتي، وهدفه هو إحداث شلل نفسي وعقلي للعدو.

وفي حين أن الأفكار الحديثة للشلل الاستراتيجي تشترك في بعض الجوانب مع الرواد الأوائل، إلا أنها تجاوزت الفهم الأولي النفسي والبيولوجي للسكان. تعدّ الحرب المتمحورة حول الشبكة من بين النظريات الناضجة للشلل الاستراتيجي، وهي تعتمد بشكل أكبر على التكنولوجيا. هذه الحرب، المستعارة على نطاق واسع من عالم الشركات، قدمت مفهوم "الإغلاق" (منع الخروج أو الدخول) كمفهوم جديد تماماً في نظريات إحداث الشلل الاستراتيجي. باستعارة من الشركات التي تستخدم ميزةً غير متماثلة لحرمان المنافسين تماماً من الوصول إلى السوق، تصورت الحرب المتمحورة حول الشبكة "سوقاً" متقلبةً تتغير فيها الميزة بسرعة. كان لإطلاق النار/القوة النارية اللامركزية للشبكة والميزة اللوجستية والمعلوماتية المتجذرة في السرعة والقوة المعلوماتية، القدرة على خلق ميزة حاسمة يمكنها إخراج الخصم من المنافسة. (Cebrowski, Gartska, 1998: 28-35) وهذا ابتعد إلى حد ما عن نظريات إحداث الشلل الاستراتيجي التقليدية، لأنه كان متجذراً في التحسين وزيادة السرعة.(Ullman et al, 2002: 19) كانت استراتيجية الصدمة والرهبة أيضاً، محاولةً فكريةً لتحقيق السيطرة والميزة التنافسية. كما تعدّ العمليات القائمة على التأثير من بين نظريات إحداث الشلل الاستراتيجي. عكست مفاهيم إحداث الشلل الاستراتيجي المبنية على العمليات القائمة على التأثير، مفاهيم الأنظمة البيولوجية التي طرحها فولر.(Lawson, 2010: 772)

حالات إحداث الشلل الاستراتيجي

من خلال ما تم عرضه، نستنتج أن الهدف الرئيسي للشلل الاستراتيجي هو خلق ظروف وأوضاع تؤدي إلى: عدم قدرة العدو على استخدام قدراته (المادية والبرمجية)، وتعطيل قيادة العدو وعدم قدرتها على اتخاذ قرارات صائبة.

ستكون نتيجة هاتين الحالتين تفكك تنظيم القوات العملياتية، وتشتت مستويات القيادة والقوات، وتدمير الإرادة والقدرة على المقاومة والقتال لدى العدو. وبالتالي، ينصب التركيز الرئيسي للنقاش على نظام القيادة.

ومع ذلك، من خلال دراسة الأدبيات الاستراتيجية المتاحة، يمكن التوصل إلى مفاهيم أخرى مرتبطة بإحداث الشلل الاستراتيجي. على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى مفاهيم مثل "القصف الاستراتيجي" الذي يمثل دائماً المرحلة الأولى من الهجمات (وفي بعض الحالات يستخدم أيضاً أثناء الحرب) ويتم تنفيذه بهدف إحداث الشلل.

الهدف الرئيسي من هذه العمليات، التي تُنفذ غالباً من خلال الهجمات الجوية والصاروخية، هو إلحاق أشدّ وأسرع الأضرار المتزامنة والممكنة بالمراكز الحساسة والحيوية للعدو، لشلّ قواته ومنع المقاومة الفعالة. وبعبارة أبسط، تسعى هذه الهجمات في الوقت الحاضر إلى تدمير البنية التحتية للدعم، والقيادة، والتحكم، والاتصالات لدى العدو. وتؤكد

الهجمات الواسعة النطاق التي شنتها الولايات المتحدة على مثل هذه المنشآت في العراق خلال حرب ٢٠٠٣ هذه النقطة. (Cordesman, April 2003)

الموضوع الآخر يتمحور حول ما يُعرف بـ "تحميل الأعباء الاستراتيجية". إن تحميل الأعباء الاستراتيجية يعني إلحاق خسائر وآلام تتجاوز عتبة تحمّل الدولة المنافسة. في بعض الحالات، تقوم الدول بتصميم برامجها وعملياتها بحيث تؤدي إلى تحميل الأعباء الاستراتيجية، مما يفضي إلى إحداث شلل في خصمها. من بين هذه الحالات، يمكن الإشارة إلى "الهجوم على المدن". في إطار هذه الاستراتيجية، التي استخدمها العراق خلال حربه المفروضة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يعتقد العدو أنه من خلال نقل القتال إلى الأوساط المدنية، سيتم الضغط على الشعب ليشكّل ضغطاً على حكومته. إذ يفترضون أن تقديرهم لعتبة تحمّل الحكومة أقل مما هي عليه في الواقع، ويأملون أن تؤدي الاحتجاجات الشعبية في المدن إلى شل قدرات خصمهم.

نظرًا لموضوع هذه المقالة، لن يتم تناول هذه الأمور بشكل موسع، وسنكتفي بالإشارة إلى الإجراءات المتخذة في العمليات الرامية إلى تحقيق إحداث الشلل الاستراتيجي.

وبناءً على ذلك، يعتقد الكاتب أن إحداث الشلل الاستراتيجي يمكن أن يُطبق من خلال ثلاثة أشكال: "وضع المعنيين في حالة من عدم اليقين"، و"إزالة صانعي القرار"، و"قطع الاتصالات بين صانعي القرار"، وسيتم توضيح كل واحد من هذه الأشكال بشكل مختصر في ما يلي.

وضع العدو في حالة عدم اليقين

تُعتبر إحدى الأشكال الرئيسية للشل الاستراتيجي، هي وضع العدو في حالة عدم اليقين. تعكس هذه الحالة بُعد "الظروف" المتعلقة بالشل. يعني الوقوع في حالة عدم اليقين أن الفاعل "أ" يتصرف بطريقة أو يُحدث ظروفًا تحول دون قدرة الفاعل "ب" على اتخاذ قرار، أو تتطلب منه اتخاذ قرار قد لا يكون في نهاية المطاف متسقًا مع مصالح الفاعل "أ"، أو متابعة قرار قد يُفضي إلى أضرار جسيمة للفاعل "أ". وبعبارة أكثر وضوحًا، يعدّ تقليص الخيارات المتاحة لصانعي القرار لدى الخصم، أحد العناصر الأساسية لـ "عدم اليقين".

ومن بين الإجراءات الأخرى التي قد تخلق حالةً من عدم اليقين لدى العدو، تكمن سرعة وتكثيف الأعمال والتحركات عبر أبعاد متنوعة. فإذا تمكنا من الضغط على العدو من عدة محاور وبشكل موسع، فسوف يعجز حينها عن اتخاذ أي قرار.

في هذا السياق، يشير "واردن" أيضًا إلى أنه يمكن من خلال الهجمات السريعة والحاسمة والشاملة على مراكز ثقل العدو، إحداث خسائر وأضرار غير متوقعة لقائد العدو؛ وفي مثل هذه الظروف، يصبح القائد مرتبكًا، مما يؤدي إلى فقدانه القدرة على اتخاذ القرار. (Warden, Jan 1993)

استهداف وإزالة صانعي القرار

يُعتبر صانعو القرار أو القادة من الركائز الأساسية في كل معركة، حيث تمثّل حركتهم وتنظيمهم وبنيتهم وبرامجهم أي جانب من جوانب العمل العسكري في ساحة المعركة، نتاجًا لفهمهم وإرادتهم وعزمهم. لذلك، يعدّ القادة والنظام القيادي من نقاط الثقل في أي نزاع أو حرب. وتبرز أهمية هذه النقاط إلى حد أنه إذا تمكن أحد الأطراف من إحداث اضطراب في عملية القيادة لدى الطرف الآخر، أو القضاء على القائد أو القادة، أو منع صدور الأوامر، فإنه قد يكون قادرًا على تحقيق النصر.

تُظهر النظرة الاستراتيجية إلى مستويات قدرات الخصم، أنه يمكن تصنيف هذه القدرات إلى الفئات التالية:

- القدرة الفيزيائية: تشمل القدرات المادية والتقنية اللازمة لخوض المعارك.
- القدرة الفكرية: تتعلق بقدرة التفكير والتحليل واتخاذ القرارات.
- القدرة الروحية: تعبّر عن الدافع والإرادة للقتال وحافز المقاومة والانتصار.

تكتسب معرفة هذه الأبعاد والانتباه إلى هذه المستويات من القدرات أهميةً كبرى، إذ ينبغي في إطار إحداث الشلل الاستراتيجي أن نعرف أين نوجّه ضرباتنا. فالهجوم على الأهداف غير الاستراتيجية لا يؤدي فقط إلى إهدار الوقت والموارد، بل يمكن أن يعيق الوصول إلى الهدف الرئيسي. ومن هنا، فإن الهجوم على القدرات الفكرية للعدو، قد يقلّل من قدراته الروحية والفيزيائية أيضًا.

واستنادًا إلى ما سبق، ينبغي ألا نوجّه اهتمامنا فقط إلى الدمار الكامل لجميع الأهداف، بل يجب أن يتجه تركيز الهجمات نحو مصادر القوة، لاسيما نظام القيادة لدى الخصم. لذا، فإن إحداث الشلل الاستراتيجي يتطلب التركيز الناري على أهداف محددة، مما يسهم في تقليص نطاق ومدة النزاع وتقليل التكاليف.

قطع التواصل بين صُنّاع القرار

يتمثل النمط الآخر للشلل الاستراتيجي، في قطع التواصل بين صُنّاع القرار. وبعبارة أخرى، ينبغي أولاً منع إصدار الأوامر، وفي الخطوة التالية، يكتسب إحداث الخلل في منظومة القيادة والسيطرة أهميةً بالغةً. إن النجاح في هذا المجال سيؤدي إلى تفكك السلسلة الهرمية للأوامر، مما يضع القوات في حالة من الارتباك والتشتت.

إحداث الشلل الاستراتيجي للجيش البعثي خلال فترة الدفاع المقدس من قِبَل المجاهدين

الشلل على المستوى الاستراتيجي

(١) تدابير الإمام الخميني (قدس سره)

لقد ساهمت طبيعة قرارات الإمام الخميني (قدس سره) خلال فترة الدفاع المقدس، في إحداث الشلل الاستراتيجي لجيش النظام البعثي بشكل كبير. فقد كان يتخذ قراراته استناداً إلى رؤيته الاستراتيجية، إذ كان على دراية عميقة بقدرات "الإيراني المسلم الثوري". وفي هذا السياق، كان أحد أهم إجراءات الإمام الخميني (قدس سره) هو إضفاء الطابع الشعبي على الدفاع. فقد شكّل "الشعب" باعتباره "إمكانية" لا يمكن الاستغناء عنها، الأساس والركيزة الدائمة للرؤى الاستراتيجية لمؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتعكس كلمات وخطابات الإمام الخميني (قدس سره) بوضوح أهمية الحضور الشعبي وإضفاء الطابع الشعبي على مختلف القضايا.

"طالما هناك حاجة في الجبهات إلى الأفراد، فإن جميع الأفراد، دون استثناء، ممن لديهم القدرة والاستطاعة، يتوجب عليهم تلبية احتياجات الحدود من حيث الأفراد والمستلزمات الضرورية هناك. وبالطبع، هذا ليس واجباً عينياً، بل هو واجب كفائي". (الإمام الخميني (قدس سره)، ١٩٩٩، المجلد ١٦: ٤١٥-٤١٦)

وكان الإجراء الآخر للإمام الخميني (قدس سره)، هو "إضفاء الطابع العقائدي والأيديولوجي على الحرب". وقد أثمر هذا النهج نتيجتين واضحتين؛ أولاهما دفع القوات الشعبية للتوجه إلى الجبهات؛ فقد تمكن مسؤولو النظام، من خلال اعتبار الدفاع عن الأراضي الإسلامية واجباً، من تفسير مسؤولية حماية البلاد وحدودها كواجب جماعي. وقد قام الإمام، من خلال تقديم رؤية جديدة حول الوجود والإنسان، وكذلك مفهوم الحرب والجهاد والدفاع في الإسلام، بتوضيح طبيعة العدوان العراقي على إيران الإسلامية في إطار "الإسلام والكفر" و"الحق والباطل"؛ حيث قال: "الآن الجمهورية الإسلامية بأكملها تقف في مواجهة الكفر". (الإمام

الخميني (قدس سره)، ۱۹۹۹، المجلد ۱۳: ۱۰۹) وقد حظيت هذه الفكرة بقبول الشعب والمقاتلين.

أما النتيجة الأخرى فكانت تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين وخلق روح حماسية، التي مثّلت أهم عامل للتفوق على الجيش العراقي الذي كان يعتمد على المعدات (المدرعة)؛ في الواقع، تحدَّت رؤيته فهم القيادة العراقية وأصابتها بالشلل. ففي نظر الإمام الخميني (قدس سره)، لم يكن "النصر" مجرد شعار بل كان عقيدةً راسخةً، ولذلك كان مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية يقول بثقة عالية ويقين بالنصر الإلهي: "جاء لص ورمى حجراً" و"سنصفع صدام صفعةً لا يقوم بعدها من مكانه". (الإمام الخميني (قدس سره)، ۱۹۹۹، المجلد ۱۳: ۲۲۳)

إن سلوك وتصريحات القوى الوطنية، شكلت الأسس الفكرية التي أضعفت قدرات النظام العسكري العراقي في أذهان الشعب الإيراني. بالإضافة إلى ذلك، كانت المقاومة الشعبية عنصرًا حاسمًا في هذا السياق. يوضح الأدميرال علي شمخاني كيفية تشكيل النوى الأولية للمقاومة في خوزستان قائلاً:

"كانت القوة الأولية للحرس قد تدرّبت في كردستان وعلى عمليات المدن... كنا نسعى باستمرار لتعزيز قدراتنا، وكنّا متمركزين في خرمشهر وعلى مركز حرس الحدود في السعيدية، وقد جمعنا القوات العملياتية. مع بداية الحرب، قمنا بتوحيد هذه الجهود، وألقينا خطابات تحفيزية، وأسسنا مجموعة أطلقنا عليها "مجموعة بلالي"... كنت أشارك بنفسي في بعض الغزوات الليلية. وكانت أول غزوة ناجحة لنا تحت جسر الحميدية، ومن ثم أصبحنا نرغب في تنفيذ غزوات بشكل أكثر تكرارًا." (مقابلة مع الأدميرال شمخاني، ۲۰۰۴: ۲۶-۲۵)

لقد أدى قدرة الإمام الخميني (رحمه الله) على إدارة الأزمات جنبًا إلى جنب مع المقاومة الشعبية، لاسيما في المناطق القتالية، إلى فشل العراق في تنفيذ استراتيجيته الخاصة بالحرب السريعة. ونتيجةً لهذا الفشل، قدّم العراق اقتراحًا لوقف إطلاق النار. لكن إيران، في ظل تجاوزات الجيش العراقي واستيلائه على جزء من أراضيها، لم يكن بإمكانها اتخاذ قرار بإنهاء الحرب. من جهة أخرى، كانت العراق تسعى للحصول على امتيازات، مما أدى إلى تزايد هيمنة "استراتيجية الحرب الطويلة الأمد" على ساحات القتال. كان العراقيون يعتقدون أن إيران لن تكون قادرةً على تحمل الحرب الاستنزافية، في حين كانت العراق وجيشها يسعيان إلى حرب طويلة الأمد. في هذه الأوضاع، وبفكرٍ بعيد النظر، قال الإمام الخميني (رحمه الله) ردًا على هذه الاستراتيجية العراقية وعلى العناصر الداخلية التي كانت تشعر بالإحباط وتعتقد أن حصول تحرك إيجابي في الجبهات أمر بعيد المنال: "إذا استمرت هذه الحرب عشرين عامًا، فنحن صامدون." (الإمام الخميني (رحمه الله)، ۱۹۹۹، ج ۱۳: ۳۱۵)

بعد هذه التطورات وإبلاغ هذه التدبيرات العامة من قبل الإمام (رحمه الله)، انطلق المجاهدون في بلادنا، بثقة وإرادة متجددة، إلى جانب تعبئة الإمكانيات الشعبية، لبدء عمليات تحرير المناطق المحتلة، مع تعزيز عزيمتهم على إضعاف العدو.

(٢) توظيف استراتيجية الحرب الثورية كتفوق فكري

من بين العوامل الجوهرية التي حالت دون استثمار العراقيين لتفوقهم التكنولوجي والتجهيزي، تبرز الاستراتيجية الحربية المبتكرة التي انتهجتها إيران. فمع بداية العام الثاني للحرب المفروضة، وبالتزامن مع التحولات السياسية الجذرية كإقصاء "بني صدر" وانخراط الحرس الثوري في المعارك إلى جانب تعبئة القوى الشعبية، وتغيير الفكر الاستراتيجي المتعلق بالحرب، تبلورت استراتيجية حربية جديدة تميزت بخصائص فريدة.

كان منبع هذا الفكر ومهد نشأته هو الثورة الإسلامية؛ فباستلهام نموذجها، أضحى "الفكر والإيمان" – باعتبارهما جوهر هذه الرؤية – العامل الحاسم في تحديد مآلات الحرب. وفي ضوء تأثير الثورة الإسلامية، لم يعد للفكر التقليدي القدرة على الاستمرار. ومع مطلع عام ١٣٦٠ للهجرة الشمسية، بدأت ملامح الفكر الدفاعي الجديد في التبلور، مشكِّلةً بذلك أعظم نقطة تحول في تاريخ هذه الحرب.

في هذه المرحلة، وبعد إحداث تغيير جوهري في النظرة إلى الحرب وتطوير الاستراتيجيات، برزت منهجية حربية جديدة تميزت بالخصائص التالية: التعلم الميداني المباشر؛ القيادة الإيجابية؛ منح القادة حرية التصرف؛ مرونة الهيكل التنظيمي القتالي؛ خوض المعارك الليلية؛ الإبداع والابتكار؛ التصاعدية؛ سرعة التنفيذ؛ التركيز على حشد القوى البشرية؛ القتال المرتكز على الهويات العرقية؛ القتال في مواجهة العوائق؛ عنصر المفاجأة؛ اختيار مناطق العمليات بما يتناسب مع القدرات القتالية؛ (عسكري، ٢٠٠٨) استبدال المحورية التقنية والتكتيكية بمحورية العمليات (رضائي، ٢٠٠٧: ٥٤).

في الواقع، قامت جمهورية إيران الإسلامية، من خلال تبنيها لهذا الأسلوب الحربي، بتحدي الافتراضات الذهنية للقادة العراقيين ووضعتهم في حالة من إحداث الشلل الاستراتيجي. فقد كان البعثيون يعتقدون أن جمهورية إيران الإسلامية ستواجه هجومهم بأسلوب تقليدي، حيث تكون الأفضلية لمن يمتلك التجهيزات والتكنولوجيا المتفوقة.

(٣) التفوق المعنوي

يُعدّ العنصر المعنوي من بين المكونات الأساسية التي تحظى بأهمية بالغة في الفكر الإسلامي. يؤكد الله سبحانه وتعالى في الآية ٦٥ من سورة الأنفال، مخاطباً المسلمين: "إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا". إن الروح المعنوية هي حالة نفسية أو ميل أو استجابة سيكولوجية تتميز بخصائص مثل المزاج الإيجابي، والعاطفة الإيجابية، والثقة بالنفس، والتماسك الجماعي، والرغبة القوية في إنجاز مهام المجموعة (أو المنظمة). وهذا العامل يحفز الفرد على الانخراط بنشاط وحماس في أنشطة المنظمة (أو المجموعة)، وعدم الخوف من المخاطر، ومواجهة الأعداء. (الياسي ونائيني، ٢٠٠٩: ٤٣-٤٤)

يتفق جميع الخبراء على أن أهم عنصر في القوة الوطنية والقدرة القتالية خلال الدفاع المقدس، كان الروح الحماسية والخصائص المستمدة من معتقدات وإيمان الشعب الإيراني والمقاتلين الإسلاميين. على سبيل المثال، أظهر "كرامر" في دراسة استعادية أن "العامل الأهم الذي مكّن إيران، التي كانت قد خرجت للتو من ثورتها، من الصمود بشكل لا مثيل له في وجه العراق المدعوم بالأسلحة من جيرانه والقوى العالمية الكبرى، وإحباط أهداف الحكومة العراقية، كان الروح القتالية، والإيمان الثوري، والتماسك الجماعي لشعبها". (Kramer, et al., 2001)

وهذه الروح الحماسية، التي كانت نتيجةً لـ "المعتقدات الدينية"، و"قيادة الإمام الخميني"، و"ثقافة عاشوراء"، و"النظرة إلى العدو كباطل وكافر"، و"إدارة دعاية الحرب" (نائيني، ٢٠٠٩: ٦-٢٤)، تعني الاستعداد الطوعي والنشط للشعب الإيراني والمقاتلين الإسلاميين للدفاع عن البلاد ونظام الجمهورية الإسلامية. ويمكن دراسة هذه الروح من خلال مؤشرات مثل الاستعداد، والشجاعة، والتضحية والفداء، وكراهية العدو، وحب النظام وقيادة الإمام الخميني (قدس سره)، والثقة بالنفس والاعتماد على الذات، والمقاومة والصمود، والثقة بالنصر الإلهي، وغيرها. (نائيني، ٢٠٠٩: ٦)

وكانت هذه الروح الحماسية من العوامل التي منحت الجمهورية الإسلامية التفوق في مواجهة هجوم العدو البعثي. وهو العامل الذي غفل عنه العراق، أو افتقر إلى القدرة على تقييمه وحسابه. يعتقد العديد من المفكرين والاستراتيجيين العسكريين في العالم، أن الطرف الذي يتمتع بمعنويات عالية سيكون هو المنتصر في أي حرب. وقد كانت القوات العراقية في وضع معنوي أدنى مقارنةً بقوات بلادنا. ويمكن اعتبار الطبيعة العدوانية لهجومهم، ووجودهم في أرض وإقليم البلد المستهدف (إيران)، وعدم درايتهم وإلمامهم الكافي بجغرافية المناطق المحتلة، من بين أسباب ضعفهم المعنوي.

إحداث الشلل على المستوى العملياتي

كما أشرنا سابقاً، فإن الهدف الرئيسي من إحداث الشلل الاستراتيجي هو منع العدو من استخدام قدراته. وقد حظي هذا المبدأ باهتمام دقيق من قادة الحروب والعمليات. وفيما يلي نموذج لهذه الإجراءات خلال عملية "الفجر ٨":

"... طوال الحرب، كانت القدرة القتالية المطلقة للعراق أكبر من القدرة القتالية المطلقة لإيران... والقدرة المطلقة تعني مجموع القوة الجوية والبرية والمدرعة. لهذا السبب، في كل مكان كانت إيران تنفّذ فيه عمليةً، كان النظام البعثي يقوم بهجوم مضاد في صباح العملية. وكان ينفّذ الهجمات المضادة وفقاً لاستراتيجية الهجوم المتحرك. عند اختيار منطقة عملية الفجر ٨، كان يجب النظر ليس فقط في احتمالية تحقيق النصر، بل أيضاً في الهجمات المضادة للعدو. لذلك، تم اختيار "الفاو" لأنها منطقة مستنقعات. أي أنه إذا أراد العدو شن هجوم مضاد، والذي كان يعتمد على قوته المدرعة، لم يكن بإمكانه الهجوم بسهولة... وفيما يتعلق بالهجمات المضادة، كان علينا القيام بشيء آخر أيضاً... وهو التموضع المناسب لمدفعيتنا... كان تموضع مدفعية الحرس الثوري مناسباً، حيث كانوا يسجلون نقاط الإطلاق على العقد المواصلاتية في الطرق قبل العملية، وأثناء العملية، بمجرد بدء الهجوم المضاد للعدو، كانوا يستهدفون هذه العقد، مما يؤدي إلى اختلال تشكيل العدو قبل وصوله إلى الخطوط..." (علائي، ٢٠٠٥: ١٣٦ و ١٤٠)

وبهذا الاختيار الذكي والتصميم المناسب لقدراتنا الذاتية، تم تحييد وإبطال نقطة قوة العدو (قدراته المدرعة).

"... نظراً لامتلاك الجيش البعثي العراقي قدرةً جويةً مطلقةً، كان علينا اتخاذ إجراءات تحول دون استخدامها بشكل فوري. لأنه لو تم استخدام هذه القدرة، لكانت استهدفت خطوطنا الخلفية وجميع الجسور المقامة على نهر "أروند"، لذا كان لابد من اتخاذ إجراءات تُحيّد القوة الجوية للعدو؛ أي تنفيذ التمويه الجوي وهو أمر صعب. فالابتكار في الهندسة العسكرية وإشغال قوات العدو أمر بالغ الصعوبة... لذلك قمنا بإخفاء جميع مواقع الدفاع الجوي الصاروخي التي لدينا بين أشجار النخيل، ونشرنا مواقع صواريخ "هوك" في عدة نقاط. ونتيجةً لذلك، عندما كانت طائرات العدو تأتي إلى هذه المنطقة، كانت تُستهدف قبل أن تتمكن من تحديد موقع صواريخ "هوك". وبالطبع، وفقاً للتكتيك الذي تعلمته قوات الدفاع الجوي، كانوا يقومون بإطفاء الرادارات؛ لأن العدو كان يمتلك صواريخ مضادة للرادار، فبمجرد تشغيل الرادار، كانوا يستهدفون الرادار أولاً ويُعمون الدفاعات الجوية. لذلك، ومن

خلال المراقبين الاستخباراتيين المنتشرين في مواقع مختلفة، كانوا يحددون الطائرات عند دخولها منطقة العمليات دون تشغيل الرادار، وعندما تقترب الطائرة، لم يكن لديها الوقت للرد، إذ كانوا يقومون بتشغيل الرادار وإسقاط الطائرة. ولهذا السبب، كانت عملية "الفجر ٨" العملية الوحيدة التي أسقطنا فيها أكبر عدد من طائرات العدو، حيث خسر ٤٥ طائرة." (علائي، ٢٠٠٥: ١٣٩)

بالإضافة إلى ذلك، يجدر بالذكر أنه في استراتيجيات القادة العسكريين خلال الحروب، كان هناك دائمًا تركيز على تجنب مواجهة نقاط القوة لدى العدو. ومن بين المبادئ التي تم أخذها في الاعتبار "تجنب الهجوم من جبهة واحدة". إن عدم استخدام محور الطريق بين الأهواز وخرمشهر في عملية "البيت المقدس"، قد جاء كاستراتيجية رئيسية لتحريك القوات ضد العدو البعثي، فضلاً عن عدم الاعتماد على محور "شلامجة" في بداية عملية "كربلاء ٥"، يعدّان من الأدلة الدامغة على هذه الفكرة؛ وبعبارة أخرى، عبر تنفيذ هذه الطرق، تم إضعاف فعالية نقاط القوة في الجيش البعثي.

١. وضع القادة العسكريين العراقيين في حالة من عدم القدرة على اتخاذ القرار

إن القيادة والتخطيط للمعركة، تعتمد بشكل كبير على دقة وسرعة نقل المعلومات إلى القيادة العليا. في حال تم إرسال معلومات صحيحة ودقيقة وفي الوقت المناسب، سوف تكون القيادة قادرةً على اتخاذ الأوامر والإجراءات اللازمة لمواجهة الوضع الجديد. وعدم تحقيق مثل هذه الظروف، يؤدي إلى عجز القادة وصناع القرار في ساحة المعركة عن اتخاذ قرارات فعالة. تشير دراسة سلوك القوات المسلحة في بلادنا، إلى أن سرعة الأداء واستخدام مبدأ المفاجأة قد وضعت العدو في حالة من الارتباك، وفي مثل هذه الظروف لا يمكن الوصول إلى تقييم دقيق لأداء القوات المهاجمة، وبالتالي يصبح من المستحيل على القادة اتخاذ قرارات مستندة إلى معلومات صحيحة. وقد تمت الإشارة إلى هذا الأمر بوضوح من قبل الجيش العراقي خلال عملية "الفتح المبين".

أثناء عملية "الفتح المبين"، لم يتم الإبلاغ بدقة عن حالة الوحدات من قبل العراقيين إلى القيادة العليا، حيث كانت التقارير مبالغ فيها وغامضة، ونظرًا لأن مواقع جميع الوحدات كانت هدفًا للهجوم، فقد أفادت الوحدات بأن عدد القوات (الإيرانية) كبير جدًا ومن المتوقع حدوث اختراق سريع؛ وهو ما أدى بالقيادة العليا إلى وضعية جعلتها غير قادرة على اتخاذ قرار حاسم. (تحليل الجيش العراقي...، ٢٠٠٣: ١٥٤)

(٢) القضاء على القادة وصناع القرار العراقيين

في خضم الحرب المفروضة، كان استهداف مراكز قيادة وحدات العدو، أحد الأهداف الرئيسية للمقاتلين الإسلاميين. وقد تجلت فعالية هذه الاستراتيجية العسكرية في حالة الارتباك والتخبط، التي سادت صفوف القوات البعثية عقب تعرض قيادتها للضربات. وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى عملية "الفتح المبين" التي أدى فيها الهجوم على مراكز قيادة القوات العراقية، إلى إفقادها قدرتها وتنظيمها. وقد وصف قائد اللواء ٩٦ في الجيش العراقي، أثناء أسره في هذه العملية، وضع القوات العراقية وظروفها على النحو التالي:

"لقد اختل نظام القوات العراقية وافتقرت إلى قيادة موحدة؛ إذ انفصلت الوحدات حتى مستوى الكتائب عن وحداتها الأصلية وتم إلحاقها بوحدات أخرى، وكلما استشعروا خطرًا في مكان ما، قاموا بتشتيت الوحدات، الأمر الذي شكّل نقطة ضعف للجيش العراقي". (تحليل لعمليتي الفتح المبين والبيت المقدس، ٢٠٠٤: ١٥٠)

٣. قطع التواصل بين القادة أو صانعي القرار العراقيين

سبق أن أشرنا إلى أن تدمير الاتصالات والشبكات التواصلية للقادة وإعاقة عملية نقل الأوامر، تُعَدُّ واحدةً من أشكال شلَّ الفعالية الاستراتيجية. وقد كانت هذه المسألة واضحةً تماماً خلال عمليات بلادنا ضد النظام البعثي المعتدي؛ على سبيل المثال، اعترف الجيش العراقي بأن هذا الأمر كان أحد الأسباب الرئيسية لفشله في عملية الفتح المبين. وقد اعتبر الجيش العراقي أن نجاح مقاتلي الإسلام في تدمير أنظمة الاتصالات الخاصة بالبعثيين، يعدّ من عوامل انتصار إيران في عملية الفتح المبين.

"... مع تزايد شدة الهجوم (الإيراني) وطول أمد العمليات، بدأت هذه الاتصالات تتعطل نتيجة قطع معظم أسلاك الهاتف بفعل نيران المدفعية، حتى تلك التي كانت مدفونةً تحت الأرض، مما أدى إلى تلاشيها تدريجياً، وبالتالي أصبح من المستحيل تماماً الاستجابة لطلبات الوحدات ونقل المعلومات. ومن جهة أخرى، لم تكن الاتصالات اللاسلكية فعّالةً لأسباب عدة، بما في ذلك التشويشات المرسلة من (إيران)،... لذا، فقد كانت القدرة على نقل المعلومات والأوامر غير قادرة على التكيف والتنسيق مع التغيرات السريعة في ساحة المعركة". (تحليل الجيش العراقي...، ٢٠٠٣: ١٥٢)

ووفقًا لاعترافات العراقيين خلال عملية "الفتح المبين":

"... لوحظ أن العديد من الكتائب، بعد انقطاع اتصالها بمقر قيادتها أو مقتل قائدها، إما وقع بعض أفرادها في الأسر أو انسحبوا من مواقعهم". (تحليل الجيش العراقي...، ٢٠٠٣: ١٥٢)

وفي عملية "الفجر ٨" أيضًا، كان انقطاع الاتصال بين القيادة والوحدات العراقية المشتبكة، أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة القوات البعثية.

الاستنتاج

كما أشرنا في مقدمة المقال، فإن الهدف من هذه الدراسة هو تقديم إطار عمل حول إحداث الشلل الاستراتيجي، وكذلك دراسة كيفية تنفيذ هذه الاستراتيجية من قبل إيران في الحرب المفروضة من قبل العراق. وتحقيقًا لهذه الغاية، تم أولاً تعريف إحداث الشلل الاستراتيجي والإشارة إلى أسسه وخلفيته النظرية. ثم تمت مناقشة حالات إحداث الشلل الاستراتيجي، وفي القسم الأخير، تم شرح تنفيذ هذا النموذج والاستراتيجية خلال فترة الدفاع المقدس.

تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن القيادة هي العقل المفكر والمتحكم في الوحدات، قبل وأثناء العمليات. ونظرًا لهذه المكانة الفريدة، اعتبر الكاتب أن السيطرة عليها أو تدميرها، يعادل إلى حد كبير إحداث الشلل الاستراتيجي. وبالتالي، يمكن القول إن وفرة القوات والقوة النارية لم تعد وحدها العامل الحاسم والضامن للنصر. لم يعد من الضروري تدمير العدو جسديًا وعلى نطاق واسع في حرب طويلة الأمد ومباشرةً، بل يمكن إبطال قوة العدو المادية من خلال مهاجمة مركز ظهور وتجلي الأفكار الاستراتيجية (القيادة).

واستناداً إلى معطيات هذا البحث، يمكن القول إن تاريخ الفكر العسكري في مجال إحداث الشلل الاستراتيجي، قد شهد مسارات تطورية متنوعة عبر المجتمعات والحقب المختلفة، إلا أن مبدأ إضعاف العدو من خلال تحييد قدراته، وبالتالي إرادته للحرب، ظل ثابتاً دون تغيير.

ومن النتائج البارزة الأخرى لهذه الدراسة، أن الاستراتيجيات يجب أن تسعى لاكتشاف واستغلال نقطة ضعف العدو (كعب أخيل) لإلحاق الهزيمة به. بمعنى آخر، ينبغي أن تستهدف الاستراتيجيات توجيه الضربات للعدو، من خلال نقاط ضعفه ومواطن هشاشته بهدف تحييد قدراته ونقاط قوته. وفي الواقع، تكمن براعة الاستراتيجي المتميز في المستوى الاستراتيجي، في قدرته على شل حركة العدو.

ومن السمات المميزة الأخرى لإحداث الشلل الاستراتيجي أنه، إضافةً إلى فعاليته في الحروب المتماثلة، يُظهر كفاءةً ملحوظةً في الحروب غير المتماثلة أيضاً. بمعنى أنه يمكن استخدام هذا النموذج لتوجيه الضربات للأعداء، سواء كانوا متكافئين أو غير متكافئين في القوة.

وتُظهر دراسة الحروب الحديثة بوضوح، أن شبكات الاتصال والقيادة كانت من أهم وأول الأهداف التي تعرضت للهجوم. هذه الهجمات، التي تُنفَّذ بهدف إحداث الشلل الاستراتيجي للخصم، تحمل درساً مفاده أن الأمر والقائد ونظام الاتصال لنقل الأوامر تعدّ عناصر بالغة الأهمية في أي اشتباك أو عملية عسكرية. ولذلك، يجب التفكير في تأمين حماية عناصر هذه المنظومة. بعبارة أخرى، يجب أن يكون تأسيس نظام قيادة آمن في الظروف الحرجة والعملياتية، على رأس أولويات مراكز صنع واتخاذ القرار.

وختاماً، مما لا شك فيه أن أحد أسباب انتصار ونجاح القوات الإيرانية في بعض العمليات، كان استخدامهم لنموذج إحداث الشلل الاستراتيجي.

المصادر

أ. المصادر الفارسية

١. الإمام الخميني، روح الله. (١٩٩٩). **صحيفة النور**. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره)

٢. الياسي، محمد حسين. نائيني، علي محمد. (شتاء ٢٠٠٩). "مدخل إلى أبعاد وماهية الروح الحماسية". **مجلة الاستراتيجية الدفاعية الفصلية**. السنة السابعة. العدد ٢٧.

٣. تحليل الجيش العراقي لأسباب هزيمته في عملية الفتح المبين. (ربيع ٢٠٠٣). **مجلة نكين إيران الفصلية**. السنة الأولى. العدد ٤.

٤. تحليل عمليتي الفتح المبين والبيت المقدس. (ربيع ٢٠٠٤). **مجلة نكين إيران الفصلية**. السنة الثانية. العدد ٨.

٥. رضائي، محسن. (خريف ٢٠٠٧). "الحرب برواية قائد". **مجلة نكين إيران الفصلية**. السنة السادسة. العدد ٢٢.

٦. عسكري، محمود. (٢٠٠٨). "أسلوب حرب جمهورية إيران الإسلامية في الحرب المفروضة". **سلسلة مونوغراف الدفاع**. طهران: مركز الأبحاث الاستراتيجية الدفاعية. العدد ١٧.

۷. علائي، حسين. (شتاء ۲۰۰۵). "العوامل والاعتبارات الأساسية في فتح الفاو". **مجلة نكين إيران الفصلية**. العدد ۱۵.

۸. كريمي، أمير. جليليان، سجاد. (۲۰۲۲). "تحليل الاستراتيجيات العسكرية لنابليون بونابرت (دراسة الأبعاد الميدانية الثلاثة: المشاة، الفرسان، والمدفعية)". **المجلة الفصلية لدراسات الحرب**. السنة ۴. (۲). العدد المتسلسل ۱۳. ص ۱۲۳-۱۴۷.

۹. حوار مع الأميرال علي شمخاني. (خريف ۲۰۰۴). **مجلة نكين إيران الفصلية**. السنة الثالثة. العدد ۱۰.

۱۰. المجلسي، محمد باقر. (۱۴۰۳ق). **بحار الأنوار**. بيروت: مؤسسة الوفاء.

۱۱. نائيني، علي محمد. (شتاء ۲۰۰۹). "عوامل وأساليب تنمية الروح الحماسية في فترة الدفاع المقدس". **المجلة الفصلية للاستراتيجية الدفاعية**. السنة السابعة. العدد ۲۷

ب. المصادر الإنجليزية

1. Barlow, Jason. (1992). Strategic Paralysis: An Airpower Theory for the Present. Alabama: School of Advance Airpower Studies Air University.
2. Carr, Anthony B. (2009). ***America's Conditional Advantage: Airpower, Counterinsurgency, and the theory of John Warden. School of Advanced Air and Space Studies***. Montgomery: Air University, Maxwell Air Force Base.
3. Cebrowski, Arthur K. and Gartska, John J. (1998). "Network Centric Warfare: Its Origin and Future". Proceedings. 28-35
4. Clausewitz, Carl von. (1976). On War. Edited and translated by Michael Howard and Peter Paret. Princeton: NJ: Princeton University Press.
5. Cordesman, Anthony. (5 April 2003). Iraq war Note: The Changing Role of Air Power. available at: www.csis.org.
6. Douhet, Giulio. (1983). The Command of the Air. Translated by Dino Ferrari. Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office.
7. Fodok, David. Boyd, John. Warden, John. (1995). Air power's Quest for Strategic Paralysis. Alabama: School of Advanced Air power Studies.
8. Fuller, J.F. (1925). The Foundation of the Science of war. London: Hutchinson and Company
9. Hallion, Richard P. (1992). Storm Over Iraq. Washington, D.C.: Smithsonian Institute Press.
10. Kramer, S. & et al. (2001). Motivation. available at: www.psy.ir.

11. Lawson, Sean. (2010). “Is Network-Centric (Finally) Warfare Dead? Only Partly”. ICT and International Affairs. http://www.seanlawson.net/?p=772
12. Liddle Hart, Basil. (1991). Strategy. New York: Penguin Book.
13. Tzu, Sun. (1988). The Art of war. Trans, Thomas Cleary. Boston and London: Slambhala Pub.
14. Ullman, Harlan. Wade, James Jr., Edney, L.A., Franks, Frederick. Jr., Horner, Charles. Howe, Jonathan. Brendly, Keith. (2002). Shock and Awe: Achieving Rapid Dominance. Washington: D.C. National Defense University Press.
15. Warden, John. (1995). The Enemy as a system. Air Power Journal.